

## أنماط سلوك الجنود مع موظفي الهلال الأحمر أثناء الاجتياح الإسرائيلي لمحافظة طولكرم في العام ٢٠٠٢

د. إياد عماوي\*

### مقدمة

إن الافتراض بإمكانية استخدام مستويات العلاقات البشرية في دراسة وفهم السلوك البشري، يقودنا في هذا البحث إلى دراسة تلك العلاقات ممثلة بطرفيها وهم العاملين في طوارئ الهلال، والجنود الإسرائيليين على الحواجز وفي المدن الفلسطينية. وقد تناولنا في عدد سابق من هذه المجلة لأساليب توافق العاملين في طوارئ الهلال بطولكرم، فتبين لنا بان العاملين لم يبقوا مكتوفي الأيدي ولم يستسلموا خلال اجتياح المحافظة، بل بحثوا عن بدائل تمثلت بتكيفهم مع تلك الأحداث، وقد اتخذوا لتوافقهم خمسة أساليب: أولها، أسلوب التكيف من خلال رفض الموقف ومجاهته، وثانيها، أسلوب تفادي المواجهة المباشرة باللف والدوران، وثالثها، أسلوب الهرب من الموقف، ورابعها، أسلوب الاستسلام والقبول والخضوع للأمر الواقع، وخامسها، أسلوب البحث عن أداة تبعد الخطر. واستكمالا فإننا سنتناول في هذا البحث لأنماط سلوك الجنود الإسرائيليين خلال الاجتياح الإسرائيلي لمحافظة طولكرم في العام ٢٠٠٢.

أنماط سلوك الفرد وشخصيته يتحددان بينته المادية والاجتماعية، والسلوك البشري لا يعدو كونه نشاطا يصدر عن الإنسان بأفعال يمكن ملاحظتها وقياسها، وعليه فالعدوان والسيطرة تصنف ضمن دائرة السلوك. والعدوانية خلال الانتفاضة الثانية شكلت ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار تكاد تشمل معظم أنماط سلوك الجنود العاملين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولم يعد العدوان مقصورا على الأفراد بل اتسع نطاقه ليشمل الجماعات والمؤسسات داخل المجتمع، وما جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني والعاملين فيها إلا واحدة من تلك المؤسسات التي بُطش ونُكل بها وبعاملها، فقتل وجرح منهم الكثيرين، كما دمرت معداتهم وسيارات إسعافهم، فلم يبق لديهم خلال اجتياح عام ٢٠٠٢ سوى سيارة واحدة من أصل ثمان سيارات، ولم

---

\* مدير عام في وزارة الشؤون الاجتماعية، رام الله، فلسطين. ومحاضر غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة.

يتوقف الدمار والخراب على ذلك الاجتياح بل استمر حتى يومنا هذا، وما مجزرة بيت حانون إلا أنموذجا لتلك المجازر ولذلك الدمار والخراب.

ونظرا لأهمية هذه المؤسسة، ولدورها الرائد والإنساني في هذه الفترة العصبية من تاريخ شعبنا، ولكثرة ما لحق بها وبعاملها من تكيل وقهر وعدوان، فقد تم اختيارها للبحث والدراسة للتعرف على أنماط السلوك التي مارسها جنود الاحتلال مع العاملين من: قتل، وتخريب، وضرب، وإيذاء، وتأخير، وتحكم، وغرور، وفوقية، وسرقة، وتحرش، وكذب، وتلفظ بالألفاظ البذيئة.

**الإطار النظري:** لا بد لنا من تعريف ما هو المقصود بالسلوك، وما هي الغرائز التي تدفع الإنسان للإتيان بأنماط السلوك المختلفة في حياته اليومية. السلوك "هو عبارة عن ذلك النشاط الذي يصدر من الكائن الحي كنتيجة لعلاقته بظروف بيئة معينة والذي يتمثل بالتالي في محاولاته المتكررة للتعديل والتغيير في هذه الظروف، حتى يتناسب مع مقتضيات حياته، وحتى يتحقق له البقاء وجنسه الاستمرار: والسلوك بحكم هذا التعريف لا يخرج عن كونه ظاهرة طبيعية كأى ظاهرة طبيعية أخرى [1]. ويعرف السلوك أيضا بأنه: كل نشاط يصدر عن الإنسان سواء أكان أفعالا يمكن ملاحظتها وقياسها كالنشاطات العضوية والحركية، أم نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر والوساوس. ومن ثم فالخوف والشجاعة والقلق والعدوان والخجل كلها ضمن دائرة السلوك [2].

لقد افترض علماء النفس القدامى أن هناك قوى حيوية (غرائز) تدفع بالكائن الحي للإتيان بأنماط السلوك الفطري وذلك للمحافظة على حياته وحفظ نوعه وأطلقوا على هذه القوى الحيوية اسم الغرائز. ولقد اهتم كثير من علماء النفس بتصنيف الغرائز ووصفها. ومن أشهر هؤلاء العلماء مكدوجل الذي افترض وجود عدد كبير جدا من الغرائز ومنها:

- غريزة المقاتلة أو العدوان ويثيرها كل ما يحول دون تحقيق حاجات الفرد وانفعالها هو الغضب والثورة وسلوكها هو التحطيم والتخريب.
- غريزة الخضوع ويثيرها وجود الفرد في موقف يشعر فيه بالضعف وانفعالها هو الخضوع وسلوكها هو الطاعة والاستسلام .
- غريزة السيطرة ويثيرها وجود الفرد مع أفراد أقل قوة منه وانفعالها هو الزهو وسلوكها هو التحكم والغرور [3].

أما تفسير فرويد للسلوك فيقوم على أساس أن جميع دوافع الإنسان ورغباته يمكن ردها إلى غريزتين فقط هما غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية، وغريزة الموت أو العدوان والتدمير. فهو ينظر إلى العدوان على أنه استعداد غريزي مستقل في تكوين الإنسان النفسي، وعلى ذلك فالدوافع للسلوك العدوانية فطرية لا شعورية وهي غير مكتسبة وتعبّر عن رغبة كل فرد بالموت وتدفعه إلى التدمير وتعمل من أجل إفناء الإنسان بتوجيه عدوانه خارجا نحو تدمير الآخرين، وإذا لم يستطع يرتد ذلك العدوان ضد الفرد نفسه بدافع تدمير الذات [٤].

هناك العديد من التعريفات للسلوك العدوانية، فبنديرا (Bandra) يعرف السلوك العدوانية بأنه سلوك يحدث نتائج مؤذية أو تخريبية أو يتضمن السيطرة على الآخرين جسديا ولفظيا، وهذا السلوك يتعامل معه المجتمع بوصفه عدوانا [٥]، أما سكوت (Scott) فيعرف العدوان بأنه "النزعة إلى ابتداء المقاتلة كخطوة وسط بين الجينات والسلوك" [٦]، وشوقي عرفه بأنه "أي سلوك يصدره فرد أو جماعة تجاه فرد أو جماعة أملتة مواقف الغضب أو الإحباط أو الدفاع عن الذات والممتلكات أو الرغبة في الانتقام أو الحصول على مكاسب معينة ترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر" [٧]، أما السيد فعرفه بأنه "سلوكا ظاهرا أو خفيا لفظيا أو غير لفظي يتمثل في جور طائفة على أخرى وإجحاف جماعة بجماعة وتحامل فرد على فرد آخر" [٨]، وأخيرا عرفه موسى بأنه "تلك النزعة أو مجمل النزعات التي تتجسد في تصرفات حقيقية أو خيالية ترقى إلى إلحاق الأذى بالآخر وتدميره وإكراهه وإذلاله" [٩].

هناك العديد من الأنماط العدوانية، يصنفها كل من ربيع [١٠]، وإبراهيم [١١]، كما يلي:

١. العدوان الايجابي مقابل العدوان المرضي: هناك أشكال من العدوان تعتبر مقبولة كالرد على النفس والدفاع عن الممتلكات. والعدوان الهدام يحقق هدفا ولا يحمي مصلحة فهو العدوان لذات العدوان.
٢. العدوان المتعمد مقابل العدوان العارض: الأول هو الذي ينطوي على النية والقصد والتخطيط، أما الثاني فيحدث دون قصد أو عن طريق الخطأ.
٣. العدوان الفردي مقابل العدوان الجمعي: الأول يصدر عن فرد واحد ضد فرد أو ضد الجماعة أو ضد معايير المجتمع، أما الثاني فتمارسه جماعة ما ضد فرد أو أفراد آخرين.
٤. العدوان الوسيط مقابل العدوان الغائي: الأول يهدف استخدامه كوسيلة للحصول على شيء ما أو كأسلوب لاختيار رد فعل شخص آخر، أما الثاني فهو الذي يفتقد للتفسير والتبرير ولا يهدف إلى تحقيق شيء فهو عدوان من أجل العدوان.

٥. العدوان البدني مقابل العدوان اللفظي: الأول يحدث عندما يستخدم المعتدي أجزاء جسمه أو يستعين بوسائل أخرى كالأسلحة والسكاكين لإيذاء المعتدى عليه، والثاني هو الذي يشتمل السب والاهانة وخذش الحياء والتجريح.

٦. العدوان الموجب مقابل العدوان السالب: الأول ينطوي على المبادأة والتصرف والفعل بما يسبب الاهانة أو الأذى لطرف آخر، أما الثاني فهو الامتناع عن القيام بأفعال من شأنها دفع الضرر عن الآخرين أو تتم عن رضا لما يحدث، وتعكس نوعا من اللامبالاة وعدم الاهتمام.

٧. العدوان الاستجابي مقابل العدوان التلقائي: الأول يشير إلى السلوك العدواني الذي يمثل رد فعل على سلوك آخر اعتبره الشخص عدوانا عليه، والثاني هو الذي يأخذ طابع التحرش ويفتقد للمبررات ويعبر عن رغبة أصيلة وثابتة في العدوان.

هناك العديد من التعريفات للسيطرة، فهذا ربيع يعرفها بأنها " الرغبة في التحكم والسيادة والميل إلى توجيه الآخرين والتي تتصل بخصائص مثل تأكيد الذات، الاستقلالية، الايجابية، الاقتناع بالذات، السيادة، وابتغاء القوة وفي بعض الأحيان الغطرسة والصرامة والقسوة والتهجم" [١٢]، أما السعيد فيرى بان السيطرة هي القدرة على التأثير في الآخرين، والسيطرة عليهم وعدم الاستسلام بسهولة لمختلف المواقف [١٣]، ومليكة ترى بان السيطرة تعبر عن نزوع الفرد إلى القوة في المواقف الشخصية وجها لوجه مع الآخرين [١٤]، وأخيرا فان زهران يعرفها بأنها " الحاجة إلى تحصيل مكانة مرتفعة داخل الجماعة وفرض حاجات الفرد على الآخرين وتحقيق القوة والسيطرة عليهم" [١٥].

السيطرة تكون دائما عكس الاستسلام والخضوع، أي الانصياع للآخرين والاتكالية وتجنب المواقف السيادية والقنوع بالمراكز الخلفية وعدم الرغبة في فرض الذات. لذلك نجد أن الشخص الخاضع بعكس الشخص المسيطر في أفعاله وتصرفاته اتجاه المواقف المختلفة، فهو أضعف في الاتصال وجها لوجه، في حين يجد الصعوبة في تأكيد ذاته والدفاع عن حقوقه وأرائه، ولذلك فمن السهل التأثير فيه ومضايقته من قبل الآخرين، وعند يجد الشخص المسيطر والشخص الخاضع نفسيهما في موقف صراع فان الشخص المسيطر هو الذي يجد طريقه لكيفية التعامل التي تكون مرضية لذاته [١٦].

**الدراسات السابقة:** في حدود علم الباحث لا توجد دراسات فلسطينية منشورة فيما يتعلق بأنماط سلوك الجنود الإسرائيليين على الحواجز العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الانتفاضة الثانية، إلا أن هناك العديد من الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت موضوع العلاقة بين أنماط السلوك والعدوانية، ومن هذه الدراسات، دراسة فريدي (1994) على التوافق السيكولوجي لضحايا الجريمة،

وقد أثبتت الدراسة وجود تمثيل عدواني زائد عن الحد بالنسبة للجرائم على الإناث كالعنف الزائد والاهانة الجسدية الجنسية والقتل [١٧]. ودراسة كراوفورد (1977) التي ربطت بين العدوانية والسلوك الإجرامي وقد طبقت الدراسة على ١٠٠ من السجناء بهدف التحقق من نظرية ميجاركي التي تعتبر أن الأفراد مبتدئي العدوانية يكونون عادة مفرطي التحكم، ولهذا يعبرون عن عدوان أقل من الأفراد المعتادي العدوانية، وقد أظهرت النتائج بان السجناء حصلوا على درجات عالية على مقياس العدوانية [١٨]. ودراسة الغامدي (1984) لمقارنة السمات المميزة لشخصية الجانحين وغير الجانحين في المملكة العربية السعودية، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق في العدوانية بين الجانحين وغير الجانحين، وقد استخدم اختبار تفهم الموضوع TAT لقياس متغير العدوانية على عينة مكونة من ٢٩ جانحا وأخرى مكونة من ٢٩ من غير الجانحين، وقد توصلت الدراسة إلى أن الجانحين أكثر عدوانية من غير الجانحين [١٩].

وهناك العديد من الدراسات العربية التي تناولت موضوع العلاقة بين أنماط السلوك والسيطرة، ومن هذه الدراسات، دراسة محمد (1989) والتي هدفت إلى معرفة سيكولوجية الجريمة والفروق بين الجنسين، وقد طبقت على عينة تجريبية عدد أفرادها ٨٠ شخصا مقارنة بأخرى ضابطة عدد أفرادها ٨٠ شخصا من مرتكبي ومرتكبات جرائم القتل والاتجار بالمخدرات وقد أوضحت نتائج الدراسة وجود علاقة بين مجموعة من المتغيرات وارتكاب الجرائم، فمن هذه المتغيرات زيادة جانب السيطرة لدى مرتكبي تلك الجرائم [٢٠]. ودراسة عبد العال (1987) التي هدفت إلى معرفة العوامل النفسية التي تكمن وراء جريمة القتل عند القاتلات المصريات وذلك بمقارنة ٣٣ قاتلة بعدد ٣٣ غير قاتلة مستخدما اختبار عوامل الشخصية ومقاييس الغرائز ومقاييس وكسلر بلفيو ومقياس قوة الأنا الأعلى واختبار تفهم الموضوع، وقد أوضحت نتائج دراسته بتمييز القاتلات المصريات بعدة عوامل منها جانب السيطرة [٢١].

**مشكلة البحث:** المشكلة الأساسية في هذا البحث تتمحور حول أنماط سلوك الجنود مع العاملين في قسم طوارئ الهلال الأحمر الفلسطيني في محافظة طولكرم خلال الاجتياح الإسرائيلي للمحافظة في العام ٢٠٠٢.

#### **حدود منطقة البحث:**

أ- الحدود المكانية: يقتصر هذا البحث على العاملين بقسم طوارئ الهلال الأحمر الفلسطيني في طولكرم.

ب- الحدود الزمانية: جمعت البيانات الميدانية المتعلقة بهذا البحث في الفترة الزمنية الواقعة بين ١٣ حزيران ولغاية ١٣ حزيران من العام ٢٠٠٢ م.

**منهج البحث:** استخدم الباحث المنهج الكيفي في هذا البحث، وهو المنهج الذي يشير إلى إستراتيجية بحثية مثل الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المعمقة والمعاشية الشاملة للنشاط الاجتماعي والبحث الحقلية، والتي تسمح للباحث أن يحصل على معرفة مباشرة في العالم الواقعي الذي يتناوله بالبحث والدراسة [٢٢]. وبهذا المنهج يستطيع الباحث أن يطور العناصر التحليلية والتصويرية لتفسير البيانات الواقعية بدلا من أن يبدأ بفئات كمية مفترضة قد لا تكون ذات صلة مباشرة بالطبيعة النوعية المتميزة للواقع الاجتماعي الذي نبحثه.

**خطة البحث:** حيث أن هذا البحث هو بحث كيفي فقد اتبع الباحث الطريقتين الرئيسيتين في المنهج الكيفي وهما:

١. المقابلة المعمقة وهي مقابلة حرة مفتوحة بين الباحث وموظف قسم الطوارئ في الهلال الأحمر الفلسطيني في طولكرم، ولم يتقيد الباحث بكشف من الأسئلة المعدة مسبقا وإنما ترك الحرية للمبحوث لكي يتحدث كيفما يشاء.

٢. الملاحظة بالمشاركة من خلال مشاركة الباحث موظفي قسم الطوارئ في الهلال الأحمر الفلسطيني في طولكرم حياتهم اليومية بالفترة من ١٣ حزيران ولغاية ١٣ حزيران من العام ٢٠٠٢ م، حيث كان مضطرا للتواجد داخل مقر الطوارئ طيلة الليل وقد اجتاح الجيش المدينة خلال تواجده داخل المقر أكثر من مرة.

وهاتان الأداتان مكنتا الباحث من التعرف بدقة كاملة على الأشخاص الداخليين في التفاعل، لأنه رأى بنفسه وسمع بأذنيه ماذا يقال ويفعل.

**نماذج قصص معاناة العاملين:** قصص معاناة العاملين التي تم جمعها كثيرة لا مجال لذكرها، لذا سنكتفي هنا بذكر نماذج: **القصة الأولى للعامل (ز. غ.):** بتاريخ ٨/٥/٢٠٠٢، كان هناك اجتياح لمدينة طولكرم، وفي حوالي الساعة الثامنة صباحا تم تطويق عمارة بقرب من مركز الإسعاف التابع لنا، كنت في هذه الأثناء اغسل سيارة الإسعاف في ساحة المركز كالعادة في كل صباح، وإذا بجنديان يركضان باتجاه المستشفى ويصرخان على احد الأشخاص في منطقة المستشفى، وخلال ركضهم شاهداني، فتركا الرجل الذي كانا يندهانه، ووقفا باب المركز وقال احدهم \_ بالعبرية \_ تعال، قلت له

أنا في عملي ولا استطيع المغادرة، قال تعال خمس دقائق فقط، مشيت معهم بملابس الإسعاف باتجاه الشارع المؤدي إلى شارع باريس من أسفل تحت بناية الهلال، وإذا بالشارع مليء بالجنود ، طلب مني الضابط \_ بالعربية \_ أن اصعد إلى العمارة المحاصرة، واطلب من جميع السكان أن ينزلوا وأيديهم مرفوعة ومعهم هوياتهم الشخصية. رفضت وقلت له هذا مش شغلي أنا مسعف ولست مخلي سكان من العمارات. قال نفس الضابط \_ بالعبري \_ أمامك خيارين يا بنتزل السكان من العمارة يا بتطلع في التتاك (الدبابة)، قلت له التتاك، فقام احد الجنود بدفسي من الخلف وضربني شلوط، حاولت أن افهمهم أنني لست من طولكرم بل من عتيل، وكنت احمل هويتي بيدي فشلفها من يدي وربما على الأرض وقال مش شغلي، وبعد أن ضربني الشلوط صعدت إلى العمارة بتلكو، قال: شو شايف معك وقت، قلت له وقت كثير، وجدت في العمارة الطويلة شقة واحدة فقط مسكونة بداخلها أب وأم وبنات وشابان اثنان، وباقي الشقق في العمارة تحت التشطيب، طلبت من العائلة النزول بالشكل الذي طلب فنزلت، ولما وصلوا إلى أسفل، قاموا بتربيط الشباب، وقالوا للرجل صاحب المنزل \_ حوالي ٦٥ سنة \_ اذهب وافتح البيت والجوارير والخزائن، فذهب وعمل ما طلب منه ورجع، سألوه هل يوجد أشخاص داخل المنزل، قال لا ، قالوا إذا في احد سوف نقتله. وطلب مني أن أسير أمامهم وافتح الغرف غرفة غرفة، وإذا شاهدت شخص علي بالصراخ، وفعلا فتشوا منزل الرجل وجميع شقق العمارة الغير مسكونة غرفة غرفة، وبعد انتهاء التفتيش نزلنا فطلبوا مني أن ادخل عمارة أخرى واخبرهم ماذا بداخلها، صعدت إلى العمارة فوجدت شقة للمخابرات، ضربت الجرس فلم يجيني احد، لان الشقة بها مكاتب، صعدت إلى السطح وأخبرتهم لا يوجد احد. قالوا انزل فنزلت، ولما نزلت سمعت الضابط يقول للجنود \_ بالعبرية \_ اطلعوا لغموا الأبواب بسرعة وارجعوا، وفعلا ذهبوا لغموا الأبواب في العمارة ورجعوا. هنا طلب الضابط منا جميعا بما فيه الجنود الرجوع إلى الخلف ووضع الأصابع في الآذان. وما هي إلا لحظات حتى سمعنا صوت الانفجار وشاهدنا النواذ وأسلاك الهاتف والكهرباء من العمارة تقع على الأرض، وانبعث غبار كثيف في المكان، قال الضابط لي عندما ينتهي الغبار اصعد وفتش العمارة. صعدت وقلت بالتفتيش وأخبرتهم انه لا يوجد احد في العمارة، طلب مني ثانية أن أسير أمامهم وفتش جميع شقق العمارة غرفة غرفة، فتشناها جميعا من أعلى إلى أسفل ولما وصلنا إلى الطابق الأرضي وجدنا به مكاتب للغرفة التجارية كانت تحوي على أثاث فخم وبها حواسيب، وكان يوجد على إحدى الطاولات علم فلسطيني صغير على حمالة صفراء، شاهدت احد الجنود الذي كان يفتش الغرفة يحمله بيده، نظر فوجدني انظر إليه، طلب مني أن اذهب، ذهبت وعدت برأسي ثانياً، فشاهدته يضع العلم في جيبه، ولا اعلم إن كان اخذ شيء آخر أم لا، لأنه في مكتب المخابرات دخلت قبلهم غرفة غرفة وبقيت معهم، أما في مكاتب الغرفة التجارية فطلبوا مني المغادرة وفتشوا لوحدهم. خلال تفتيشهم لمكاتب الغرفة التجارية نزلت إلى الشارع وكان هناك جنود وضباط تحدثت مع احدهم وقلت له: العمل والتصرف الذي تم معي غير صحيح، أنا عملي تقديم المساعدة للمرضى وما قمت به لا ينسجم وعملي

بل ينسجم مع عمل حارس بناية، قال: كلامك صحيح ولكن نحن في وضع حرب، ووضع الحرب يلغي كل القوانين والمنطق. بعدها أعطاني الهوية وقال بتقدر ترجع على شغلك.

رجعت على المركز وبعد حوالي نصف ساعة تلقينا بلاغ من دير الغصون يفيد بوجود طفل بحاجة لنقل إلى المستشفى، توجهت والزميلة ل. ب. إلى الموقع، حيث غيرت طريقي لتلافي المرور من عند الدبابات وسلكت شارع المستشفى، إلا انه للأسف وجدت بطريقي دبابة تحجز زميل لي بسيارة إسعاف أخرى. مع وصولي انتهى تفتيش سيارة زميلي وغادر المكان، وجاء دوري حيث طلب مني النزول وفتش السيارة واخذ الهويات، ورجع إلى الدبابة لفحص الهويات على الهاتف. وخلال الفحص جلست بالسيارة، بعدها ناداني باسمي، توقعت أن يعطيني الهوية ويقول ارجع كالعادة، فقال لي أنت بدك تيجي معنا، قلت له: شو يعني، قال: يعني معتقل، قلت له يبدو أنك امخربط بالاسم، قال امخربط بالاسم، وجهك للحائط ويديك وراء ظهرك، ففعلت وقام جندي بكفشتي، شد على يدي كثيرا فتألمت وقلت آخ، جندي آخر قال لماذا شديتها كثيرا، قصها ووضع أخرى جديدة اخف من الأولى. هنا قال لي الجندي الذي ربطني أول مره: أمامي على الدبابة صعدت إلى الدبابة حيث لم ينتظر حتى اصعد ودفسني داخلها دفسا، وطلب مني أن اجلس عند المدخل وليس بالداخل، بينما كان يقف على الشارع مقابلي، سألني \_ بالعبرية \_ شو اعملت، قلت له لاشيء، فضربني كف على وجهي وقال تكذبش، وكرر السؤال مرارا، فكررت نفس الإجابة في كل مرة، فكان يضربني على وجهي ويقول تكذبش، وفي آخر مرة سألني قلت له يعني بدك أقول لك اعملت شيء معملتوش، فضربني وقال اتقولش شيء، فقلت: طيب، فضربني وقال اتقوليش طيب، فصمت. وقام بانزالي ثانية على الأرض واحضر بلوز رائحته سيئة وربط عيوني بعنف وطلب مني الصعود ثانية إلى الدبابة. صعدت فسألني قديش هذول \_ ضحك الجنود يبدو انه أساء \_ قلت له مش شايف، قال له جندي من داخل الدبابة بكذب عليك شايف، قال له أنا رابطها على بتين ومش شايف، في هذه الأثناء وصل جيب جيش، سمعته يقول لهم نزلوه عندي، وكان الجندي الذي ضربني مرارا يجلس بجاني فقام بحرقى بسيجارة كان يحملها على يدي \_ ما زالت آثار الحرق موجودة \_ فقلت آخ بصوت منخفض، وبعدها نزلوني، شالوا البلوز ووضعوا ربطة عادية من التي يستعملها الجنود، ووضعوني في الجيب، سار الجيب ولا اعرف أين ذهب، وكان إحساسي يقول بأننا ذاهبين على D. C. O . وفعلا هذا ما حدث، فلما وصلنا ونزلت من الجيب عرفت أنني في الارتباط، لأن العصابة غير محكمة، نزلوني من الجيب وأمسك بيدي جندي وأجلسني على الكرسي، فك يدي من الخلف وربطني من الأمام. احضر للجميع ساندويشات فينو، وقال لي امسك كل، قلت له بديش آكل، عاد الكلام مره ثانية فرفضت وحاول إعطائي ماء للشرب فرفضت مع إنني كنت جوعان وعطشان، إلا أن نفسي عزت علي، لم استوعب هذا الكلام، يعني مسكوني وضربوني وبعدين بدهم يطعموني ويسقوني. كنا نجلس تحت الشمس والساعة حوالي الثانية بعد الظهر، تبادر لذهني أن

اعمل حيلة للهروب من الشمس، فأخذت انتفض، إلا أن أحدا لم يقترب مني، فقلت يا جندي لو سمحت أنا تعبان وعندني وجع رأس شديد من حرارة الشمس وكنت ارتدي ملابس الإسعاف، فسمعت جندي يقول لزميله حتى المسعف هنا، هذا شو عامل، هنا عاد الجندي وقال اشرب، أخذت الزجاجاة بيدي المربوطتين ووضعت القليل في فمي وأنزلت الماء من فمي، قال شو مالك، قلت له أريد ماء بارد، قال لا يوجد ماء بارد، وأمرني بالوقوف، وأجلسني بالظل على الأرض، سمعت جندي يقول له اسكب الماء على رأسه، فقال له مش اكويس على شانته لأنه حميان، بعد قليل سوف اسكب الماء عليه. بعدها طلب مني أن اجلس على كرسي تحت المظلة، ولما حاولت الجلوس شاهدت سندويشه شوكلاتة من تحت العصبة فجلست عليها، لأنه لو شلتها سوف يعرف بأنني غير محكم الوثاق، فبللت مؤخرتي. استمررت اجلس على الكرسي حتى الساعة الخامسة مساء. خلال جلوسي كنت اسمع يهودي يمني يقول هر... هر... ولم افهم لمن يقول أو لماذا يقول هكذا، حتى جاء دوري وعلمت لمن ولماذا يقول هر... فهو يطلب من خمس أشخاص مثلا أن يقفوا الواحد خلف الآخر وكل واحد يمسك بملابس الآخر واليمني يقف في الأمام ويمسك الأول من يده ويقول هر تشبيها لهم بالغنم، وأحيانا يتلفظ بالعربي ويقول: قم يا حمار، ويأخذ الأشخاص إلى الداخل للتحقيق معهم، ويضعهم أمام غرفة المحقق ويدخل واحد واحد. قبل أن ادخل فتنشوني بالماكنة وباليد ودخلت، أجلسوني على كرسي وقام البواب بحل العصبة، فتحت عيوني فوجدت مسؤول المخابرات مع ضابط آخر، كل واحد يجلس على مكتب، مسؤول المخابرات يوجد أمامه حاسوب، بدأ بالأسئلة بالعربية: ما اسمك؟ من أي بلد؟ ما اسم زوجتك؟ ومن أي بلد؟ هل لك أولاد؟، أجبت على جميع الأسئلة ولما وصلت إلى إجابة سؤال هل لك أولاد، قلت: نعم، لي بنت واحدة، قال: ما هو اسمها؟ قلت: هبه، قال الله ايخليك إياها، وخلال سؤالي كان ينظر إلى شاشة الحاسوب، وقال للجندي البواب بالعبرية، أطلق سراحه، عندما سمعت كلامه قلت له: اعتقلنتي لست ساعات من اجل أن تسألني هذه الأسئلة وكل المعلومات عندك، بدي افهم لماذا نزلتوني من سيارة الإسعاف وأخرتوا المرضى، قال: أسأل الجيش لماذا جابك هون، قلت له اسأل الجيش، الجيش يقول أسأل المخابرات، قال خلاص، خلاص اختصر، وقام البواب بوضع العصبة على عيوني وأخرجني من الغرفة، بعدها أرجعني على الساحة عند المجموعة، جلست بعدها ساعتين حتى جاء موعد دفعة إخراج، فوقفنا طابور للخروج، وخلال وقوفنا تحدثت معي شخص بالعبرية وقال: أنت هنا، حرام، لماذا يفعلوا بك هكذا؟ وضحك، وقام بتخفيف شد ربطة الكلفشة عن يدي، سألته من أين تعرفني؟ قال: أنت سائق سيارة إسعاف بعرفك من التلفزيون، ربما يكون احد مسؤولي الإدارة المدنية الذين ننسق معهم، وقادونا بطابور إلى البوابة الخارجية، وفكوا الربطات عن عيوننا وقالوا على البيت. كانت الساعة السابعة مساء، مشينا جنوبا ودخلنا طولكرم من الشارع المؤدي إلى خضوري، ولما وصلنا منزل احد زملائنا بالعمل، جلست تحت المنزل، وأخذت خلوي من احد المفرج عنهم، وتحدثت معهم وطلبت أن يبعثوا سيارة إسعاف إلى منزل زميلنا لأنني اجلس تحته، وفعلا حضرت السيارة ورجعت

إلى المركز وكانت فرحة زملائي كبيرة حيث اجروا اتصالات مكثفة طيلة فترة اعتقالنا من أجل فك أسري. تناولت طعامي وصليت المغرب، وإذا بنداء من مخيم نور شمس بوجود حالة ولادة، جميع زملاء كانوا في مهمات ولا بد لي من تلبية النداء رغم أنني تعبان ومرهق.

توجهت إلى مخيم نور شمس يرافقتي الزميل م. ع. وكانت الساعة حوالي الثامنة والنصف مساءً، توقفنا على حاجز مقام على مدخل مخيم طولكرم، ففتشونا كالعادة، من ثم توجهنا إلى الموقع وأخذنا المريضة، وإذا ببلاغ يصلنا من المركز بوجود حالة مرضية في الجانب الآخر من نفس المخيم، نزلنا وتوجهنا إلى الجانب الآخر من المخيم وإذا بدبابة قادمة من الغرب مسرعة، لم اكثرث وبقيت في خط سيرتي حتى وصلت الشارع، فسمعت صوت الرصاص من الدبابة خلفي، نظرت بالمرآة، فوجدت الدبابة خلفي فوقفت، ونزلت من السيارة قرب الباب ارفع كلتا يدي حتى يطمأنوا، نزلوا من الدبابة وسألوني أين كنت؟ والى أين أنت ذاهب؟ أخبرتهم، فقالوا لماذا أنت مسرع، قلت لهم لأصل المريض بسرعة، قالوا ثاني مرة عندما ترى دبابة توقف، الان اذهب إلى عمك. ذهبت إلى الحالة الثانية أخذتها وتوجهت إلى طولكرم، ولما وصلت إلى منطقة الميريلاند، شاهدت الدبابات على باب مخيم طولكرم، كما سمعت صوت إطلاق نار كثيف، فتوقفت باب السوبر ماركت، كانت الساعة حوالي التاسعة ليلاً، توجهت نحوي دبابة وطلبوا مني إغلاق المحرك وغطي الأضواء والنزول من السيارة ورفع الملابس، بعدها اخذوا الهويات، وتقدموا مشاة باتجاه السيارة، وطلبوا منا الوقوف جانباً، أما المريضان فبقينا في السيارة. ناداني وفحص السيارة وقال أريد فحص الهويات، وطلب مني الجلوس في السيارة خلال الفحص، بعد وقت طويل جاءت الهويات، وقال انتظروني، وقتها بدأ إطلاق نار كثيف، خفت فشغلت السيارة، وشغلت ضوء الإسعاف، حتى لا يضربوني. جاء الضابط عندي ونزل من الدبابة وقال: اغطي المحرك والأضواء، ولا تخاف لن يضرب عليك، نعرف بوجود سيارة إسعاف في المكان، قلت له أنا ميت من الخوف، قال: لا، لا تخاف. تركني وذهب، وبعد قليل جاءت دبابة أخرى وقاموا بفحص الهويات وفتشونا جسماً من جديد. مضى على وقوفنا أكثر من ساعتين، وبعد التفطيش الثاني قال الضابط غادر بحذر، هناك دبابة على باب المخيم، وفعلاً تقدمت بحذر شديد، حتى تجاوزت الدبابة، ومن ثم تابعت طريقي حتى وصلت مستشفى طولكرم الحكومي، وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، نزلت المريضان وعدت إلى مركز الإسعاف، وهكذا انتهى يوم صعب في حياتي.

**القصة الثانية للعامل (ز. غ.):** بتاريخ ٢٠٠٢/٦/١ الساعة السابعة والنصف صباحاً، وصلنا بلاغ بوجود مصاب في مخيم طولكرم \_ لا علم لنا بوجود اشتباك أو مقاومة في الموقع والمبلغ عن الإصابة أفاد بعدم وجود جيش في المكان، فخطر ببالنا أن نقطة جيش ضربت احد الأشخاص من بلدة ذنابة المجاورة \_ توجهت وزميلي ل. ب. إلى الموقع، ولما وصلنا الموقع شاهدت بعض الشباب وبأيديهم أسلحة، طلبت منهم مغادرة المكان لكي أتمكن من إخلاء المصاب، فاستجابوا، وعندها شغلت الإنذار

ودخلت الموقع في مكان منحدر، شاهدت المصاب على الأرض وبجانبه فتاة، حاولت أن أدور السيارة لكي أصل إلى المصاب، فبدأ إطلاق النار بكثافة باتجاهنا، فتحنا أبواب السيارة وقررنا مغادرتها، غادرت زميلتي ووقفت قرب الباب وكنت أهم بالنزول فسمعت صوت انفجار العجل الأمامي للسيارة من جهة زميلتي، أخذت الأرض وكذلك فعلت زميلتي، وبدأت ازحف باتجاه مؤخرة السيارة والرصاص ينهال علينا بكثافة، حتى وصلت إلى العجل الخلفي الشمالي، وتبادر لذهني أن أضع رأسي على الجنط حتى احميه، وإذا برصاصة تخترق العجل الذي اختبئ خلفه فانفجر، وكان الصوت قوي جدا فعدت لجهة مقدمة السيارة، وبعدها دخلت ممر يؤدي إلى تجمع بيوت واختبأت عند الناس، حاولت البحث عن زميلتي، فوجدتها تأتي حبوا باتجاهي، وقد وصلت سالمة. في هذه اللحظة وصل الجيش إلى الموقع، ولم يتوقف إطلاق النار نهائيا، وبطلب مني رفعت أنا وزميلتي والمرافقة للمصاب أيدينا إلى أعلى بحيث يتمكن الجنود من مشاهدتنا، وصلوا إلينا وطلب الضابط من البنت المرافقة للمصاب أن تأتي إلى الجهة التي نقف بها نحن حيث كانت تقف على الجهة الأخرى، طلبت من الضابط أن نقوم بإسعاف المصاب فرفض، وبعد قليل قال انقلوه إلى جانبكم، وفعلا نقلناه وبدأ إسعاف المصاب تحت صوت إطلاق النار الكثيف، وأخرج جندي رأسه من الدبابة وأشهر سلاحه الشخصي باليد باتجاه المصاب وهو يُسعف وقال له بالعربية وبصوت مرتفع أين السلاح يا منيك؟ قال المصاب: لا يوجد معي سلاح أنا كنت واقف باب الدار. قمنا بإسعافه بما نستطيع، علما بأن وضعة حرج وفقد دم كثير، لأن إصابته في نهاية الفخذ من فوق قرب الجهاز التناسلي وفي نفس الرجل في مشط القدم. بعدها قام الجيش باعتقاله رغم أن عمره لا يزيد على ١٦ عام، طلبوا وضعه على حمالة ظهر وحملته أنا وزميلتي إلى الدبابة، وهناك تناوله جندي يدعي انه مُسعف، قالوا له هذا مسؤوليتك، وتابع الضابط الحديث مع المصاب بعنف وسأله عن السلاح، حاولت أن اشرح للضابط بالعبرية أن المصاب صغير ولا يحمل سلاح، فقال لي: لا تتدخل بما لا يعنيك. وأخذوه وانطلقوا مسرعين وعدت وزميلتي إلى مركز عملنا بسيارة أخرى، لأن سيارتنا تعطلت.

في نفس اليوم وفي حوالي الساعة التاسعة ليلا، استدعينا إلى نفس المكان لنقل مصاب آخر، توجهت إلى الموقع يرافقتني زميلي ج. ب. ، وقبل أن نصل الموقع لاقانا الشباب يحملون المصاب بين أيديهم، أخذناه منهم \_ كانت إصابته في ركبة الرجل من الخلف، عمره ٢٩ عام وكان يقلي فلافل في محل أخيه وقت إصابته، حيث قامت النقطة الموجودة في ذنابة بقنصه بدون سبب، والمصاب كان يعمل بإسرائيل ومعه هوية ممغنطة ولا يوجد له أسبقيات أمنية \_ وتوجهنا به إلى مستشفى طولكرم الحكومي، وبعد الفحوصات تبين وجود قطع في الوريد، وان المصاب بحاجة لعملية جراحية لا يمكن عملها في مستشفى طولكرم لعدم توفر المعدات اللازمة لمثل هذه العملية، وهو بحاجة لنقل إلى مستشفى رفيديا في نابلس، قمنا بالتنسيق مع الصليب، والصليب نسق مع الإسرائيليين، وتحركنا به

الساعة ١٢ ليلاً، أعطونا خط سير معين، كيف نخرج وكيف نعود، المهم غادرنا باتجاه حاجز الطيبة، وقبل الحاجز بحوالي ٣٠٠ م أوقفني جيب عسكري وأشهر السلاح كالعادة، وبالعبرية، قال احدهم: اظفي المحرك وافتح الأبواب والجميع ينزل من السيارة، وقاموا بفحص السيارة وطلبوا الهويات للفحص، قلت للضابط لو سمحت، بما أن حاجز الطيبة بعد قليل بلاش اتاخرني، نفحص مرة واحدة هناك، استجاب الضابط وأخذ يهرول أمام السيارة والجيب يسير إلى جانبه ، حتى وصلنا الحاجز، اخذوا الهويات وعلموا أن المريض مصاب بالرصاص، وبينما نحن بانتظار الهويات وإذا بجيب آخر يصل، نزل من به، وكانت المفاجأة، حيث أن ضابط الدورية القادمة هو نفسه الضابط الذي اخذ مني المصاب الذي عمره ١٦ عام في مخيم طولكرم، قلت له أنت أخذت المصاب مني في الصباح، قال: نعم، قلت له يعجبك ما حصل، قال وماذا حصل، قلت له أنت فزرت ثلاثة عجلات إحداها كان رأسي خلفها ومرت الرصاصة على بعد ٥ سم فقط من رأسي. ضحك وقال: هذا انجاز بالنسبة لي أن أوقف سيارة إسعاف وابتشرها لأنها تحمل مصاب مسلح. وقفنا حوالي ساعة ونصف على الحاجز رغم خطورة وضع المصاب، وخلال وقوفنا سألت احد الجنود، أنا عامل تنسيق مع الصليب والإدارة المدنية، فلماذا هذا التأخير؟ ضحك باستهزاء وقال: يعتبر التنسيق الذي نسقته أولي وما افعله هو التنسيق الفعال، فأنا (الشاباك) بعرف المطلوب من غير المطلوب، في نهاية الأمر طلبوا منا أن نرجع ومعنا المصاب، وفعلاً رجعنا إلى مستشفى طولكرم، وقام الصليب باتصالات مكثفة تبين من خلالها أن الإسرائيليين أرجعونا لان اجتياح كبير ينتظر نابلس في تلك الأثناء، هنا قررت إدارة المستشفى تحويل المصاب إلى مستشفى رام الله الحكومي، وتم تنسيق جديد، وغادرنا مستشفى طولكرم باتجاه حاجز الطيبة وكانت الساعة الرابعة صباحاً، ولما وصلنا الحاجز وجدنا أن هناك تنسيق فعلاً، فتشونا وفحصوا الهويات خلال عشر دقائق، بدون اهانة ولا عنف ولكن تم تنزيل المريض كالعادة على الأرض، وفُحصت السيارة. غادرنا حاجز الطيبة باتجاه رام الله، ولما وصلنا إلى حاجز سره قرب مستوطنة قدوميم، توقفنا وتم السؤال عن المصاب، وسألوه بالعبرية من خلالي عن السلاح وكيف أصيب؟ قال لهم لم يكن معي سلاح وكنت بقلي فلافل، قال احد الجنود مستحيل أن يطلق الجنود النار عليك بدون سبب. بعدها قمت بشرح الموقف وأخبرتهم أن التنسيق تم مع بيت أيل وقدوميم وان الشخص غير مطلوب وقد فحص على حاجز الطيبة، قاموا بإجراء اتصالاتهم وقد سمعت احدهم يقول للآخر هذا المصاب (ابن شرموطة)، بعد التأكد أعطونا ورقة بأننا فتشنا على حاجزهم وأطلقوا سراح السيارة بعد أن أغلقوا أبواب السيارة بعنف. غادرنا حاجزهم باتجاه رام الله ولحسن الحظ لم يواجهنا أي حاجز حتى وصلنا حاجز المحكمة في رام الله، توقفنا على الحاجز وتم تفتيش السيارة ومن بها وفحصت الهويات، إلا أن تعامل الجنود كان أفضل ممن سبقهم \_ ربما بسبب الورقة التي نحملها بالعبرية والتي أعطانا إياها حاجز سره \_ بعد انتهاء التفتيش غادرنا الحاجز ووصلنا إلى المستشفى،

سلمنا المصاب وعدنا فوراً إلى طولكرم، وكان الصباح قد لاح، وبهذا لم ننم لحظة واحدة وبدأنا يوم عمل جديد.

**القصة الثالثة للعامل (ص. ي. ٠):** في إحدى أيام اجتياح مدينة طولكرم أصيب شاب برصاص الجيش خلف مقر الهلال \_ كان يعمل قصاراً في إحدى البنائيات تحت التشطيب \_ زحف ودخل إلى مقر الطوارئ من الباب الخلفي، كان إطلاق النار كثيفاً جداً لدرجة أن زجاج النوافذ داخل المقر تكسر، حاولنا تقديم المساعدة الأولية له، إلا أن إصابته كانت بليغة، حيث أن الرصاصة دخلت من تحت إبطه الأيسر وخرجت من الأيمن كما اخترقت يده اليمنى وخرجت منها، الأمر الذي اضطرنا لنقله للمستشفى بسيارة الإسعاف رغم كثافة النيران من حولنا. بعد إجراء الإسعاف له داخل المستشفى تقرر نقله إلى نابلس لإجراء عملية جراحية بالصدر. حاولنا التنسيق، فطلب الجانب الإسرائيلي إحضار المصاب إلى مقر D. C. O. في طولكرم تحت ذريعة أن طبيب الجيش يريد فحص المصاب والتأكد من أنه بحاجة إلى علاج خارجي. بعد موافقة ذوي المصاب، قمت وبرفقتي الزميل م. ب. وطبيب من مستشفى طولكرم الحكومي بنقل المصاب إلى مقر D. C. O. ، حيث تم إيقافنا على بوابة المعسكر وتم تفتيش السيارة ومن بها بالكامل، ودخلت السيارة من البوابة الرئيسية من بين الدبابات ووقفت، قابلي جندي وسألني من أين أنت؟ قلت له من طولكرم. فاستغرب وقال للخلف، رجعت حيث قال، بعدها حضر جيب عسكري وبداخله ضابط مخابرات وليس طبيب كما قيل لنا، نزل وسأل بالعبرية ما المشكلة؟ قلت له: انتم طلبتم إحضاره لفحصه من قبل الطبيب، قال ما اسمه؟ قلت: سمير، قال بالعربية هذا ليس سمير، أنا اعرف سمير وسامر وأبوهم، انتم تكذبون. قلت له: أنت تعرفه أما أنا فلا اعرفه، هكذا مكتوب في التقرير والهوية الشخصية. هنا عصب الضابط وانهاه علينا بكم كبير من الأسئلة دون أن ينتظر إجابة لها وبصوت مرتفع. كيف أصيب؟ من أحضره؟ أين الإصابة.... الخ. بعدها أخذ الهوية وتحويلة المستشفى ودخل إلى مكتبه. صراخه علينا لفت انتباه الجنود لنا، وبالصدفة دخلت إلى المعسكر سيارة مدنية وبداخلها شخص واحد \_ يبدو انه جندي عاد إلى العمل بعد إجازة \_ سأل زملائه من هؤلاء؟ فاخبروه من نحن، وما أن علم حتى تقدم نحونا بسيارته وهو يشتم ويسب بصوت عالي، توقف قربنا وقال: "كس ام رب ربكم" وشفط بسيارته ودخل إلى داخل المعسكر. هنا تقدم جندي شاهد ما حدث وقال لنا بالعبرية من الأفضل لكم الرجوع وراء المكعبات، وفعلاً رجعنا. بعد نصف ساعة احضر ضابط المخابرات الهوية وقال غادروا المكان. قلت له هل اذهب إلى حاجز الطيبة، قال بنرفزه هذا مش شغلي وابتعد. فقام الضابط الآخر وقال ارجعوا وأشار إلى طولكرم، قلت له أنا لا أريد العودة إلى طولكرم، أنا أريد الذهاب إلى نابلس لان وضع المصاب في خطر. وبعد حوار وشرح للموقف من أن المصاب بحالة حرجة وهو غير مطلوب بدليل أن ضابط المخابرات ارجع هويته، سمح لنا بالذهاب إلى حاجز الطيبة. عندما وصلنا حاجز الطيبة، فتح الجندي البوابة وقال سيروا، إلا أن احد

الجنود الواقفين طلب منا التوقف، فقال له زميله: هناك اتصال جاء بخصوصهم، فتراجع وسمح لنا بمتابعة المسير إلى نابلس. سرنا حتى وصلنا حاجز دير شرف، توقفنا وقام الحاجز بتفتيشنا وفحص الهويات والسؤال عن وضع المصاب، حيث شرحت لهم وضعه كاملا وما حدث معنا بالتفصيل، بعدما تأكد من صحة كلامنا من خلال الاتصال، سمح لنا بمتابعة المسير. وفعلا وصلنا بالمصاب إلى نابلس وسلمناه في مستشفى الاتحاد حيث كان بوضع صعب للغاية بعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة. بعدها عدنا إلى مركز عملنا في طولكرم عبر نفس الطريق، ومررنا بنفس الحواجز حيث تعرضنا لنفس عمليات الفحص والتفتيش.

**القصة الرابعة للعامل (س. ن. ٠):** يوم الثلاثاء بتاريخ ١١ / ٦ / ٢٠٠٢ كان هناك اجتياح لمدينة طولكرم، علمنا من مركزنا في جنين بوجود مصاب برصاصات في ارجله موجود في مستشفى طولكرم بحاجة لنقل إلى مستشفى جنين لتركيب أسياخ معدنية في أرجله، وسوف تلاقينا سيارة إسعاف الهلال التابعة لجنين لاستلامه منا، وكان عندنا مريض غسيل كلى ومعه زوجته من زيتا بحاجة إلى توصيل للبيت، فقلنا نأخذه في طريقنا، وفعلا انطلقت يرافقتي الزميل ز. غ. (سائق) إلى مستشفى طولكرم، أخذنا المصاب ومريض الكلى وزوجته وانطلقنا باتجاه الشعراوية، داخل طولكرم لم نصادف دبابات، سرنا حتى وصلنا عتيل، ولما وصلنا وسط عتيل وجدنا جيبين يمنعان التجول، توقفنا قبل وصولنا ب ١٠٠ م واخذ كل جيب جانب من الشارع وبدأ الاثنان ومن خلال السماعات يطلبان منا النزول من السيارة، نزلت أنا والسائق، قال واحد منكم يتقدم نحونا، فتقدم السائق باتجاه احد الجيبين واخذ يتكلم معه، أما الجيب الآخر فتقدم نحو السيارة واتى من خلفها وأمرني بالسماعة عن بعد ٢٠ م أن افتح أبوابها الخلفية، فقامت بفتح الأبواب الخلفية، ونظر داخل السيارة فشاهد المرضى، ولما شاهدتهم اطمأن ونزل من الجيب ومعه جنوده، أما الجيب الآخر فوقف بجانبنا، وقال الجميع ينزل من السيارة، قلت له يوجد مرضى، قال من يقدر ينزل، نزلت المرافقة وبقي المريضان، إلا انه أصر أن ينزل مريض الكلى فنزل، اخذ هوياتهم وقال قفوا بجانب الشارع \_ الحديث بالعبرية والسائق يترجم \_ وبدأ بتفتيش السيارة، وبينما هو يفتش طلب الجيب الآخر منا (أنا وزميلي) أن نقرب منه فقلنا، سألنا عن خارطة معه وعن اسم القرية المجاورة (دير الغصون)، قلنا له نعم هذه دير الغصون، هنا ثار الجنود الذين يفتشون وندھونا، قلت لهم على من نرد، قال جنود الخرائط داخل الجيب اذهبوا مع تفتيش السيارة، وبينما كانوا يفتشون السيارة من الخلف نزل جندي من الجيب وتوجه نحو السيارة وفتح الباب الأمامي فلحقته، ولما التفت ووجدني خلفه صرخ بالعبرية وقال: انصرف من هنا وقف جانبا، فذهبت ووقفت مع الواقفين من ركاب سيارة الإسعاف، وقام بالتفتيش، وبعدها طلب من مريض الكلى أن يرجع إلى السيارة، ورجع الجندي إلى مكانه داخل الجيب، وبعد قليل نزل نفس الجندي مرة ثانية وبدأ يطلق النار، هنا خفنا جميعا خصوصا المرضى الذين أصيبوا بحالة من الذعر والفرع، حتى الجنود

تفاجئوا بالموقف، بعدها عرفنا انه كان يطلق النار على سيارة تاكسي اخترقت منع التجول. في هذه اللحظات رموا الهويات على الأرض، وطلب ضابط الدورية منا أن نصعد إلى السيارة ونبقى واقفين. وهجموا جميعا على التاكسي والكل فيهم يصرخ ويسحب أقسام سلاحه، نزل سائق التاكسي ومعه شابان اثنان ميتين من الخوف. قال لهم: ارفعوا أيديكم وتعالوا، ففعلوا، قال ارفعوا عن ملابسكم، فسلحوا الملابس الفوقية، هنا طلب منا مغادرة المكان. وفعلا غادرنا المكان وأوصلنا مريض الكلى وزوجته إلى زيتا، أما المصاب المرسل لجنين، فقد سلمناه لسيارة هلال جنين في بلدة كفر راعي، وعدنا حيث أتينا، ولما وصلنا إلى عتيل وجدنا سائق سيارة التاكسي لوحده، طلبنا منه التوقف، وسألناه ماذا حدث؟ قال: أنا ما حكوش معي أما الشباب فقد موتوهم من الضرب لخرقهم منع التجول. غادرنا عتيل حتى وصلنا إلى طولكرم حيث مركز عملنا.

**القصة الخامسة للعامل (ر. ي.):** تلقينا طلب من مستشفى طولكرم الحكومي بضرورة نقل مريض قلب إلى مستشفى رام الله الحكومي. انطلقت أنا وزميلي ع. ج (سائق) إلى المستشفى لأخذ المريض وكانت الساعة الخامسة مساء، أخذنا المريض ومرافقه وتوجهنا إلى رام الله عبر حاجز الطيبة. على حاجز الطيبة توقفنا وقام الجنود بتفتيشنا وتفتيش السيارة وفحصوا الهويات، وغادرنا الحاجز، وبعد ٢٠٠ م من مغادرتنا تعرض لنا جيب إسرائيلي بوز بيوز، فتوقفنا، قام بتفتيشنا وتفتيش السيارة وبعدها سمح لنا بمتابعة المسير، سرنا حتى مفرق الكفريات وإذا بجيب ثاني، أوقفنا، فقلت له فتشنا، قال: لا يعنيني، وقام بتفتيشنا وتفتيش السيارة، وتابعنا سيرنا حتى وصلنا بوابة مستوطنة عناب وكان هناك حاجزا للجيش، أوقفنا وقام بتفتيشنا وفحص الهويات، وتابعنا السير حتى وصلنا المفرق المؤدي إلى شارع نابلس، فوجدنا جيب عسكري، أوقفنا وفتشنا وسمح لنا أن نتابع السير، مشينا على شارع طولكرم نابلس حتى وصلنا إلى مفرق دير شرف، فشهدنا مجموعة من الجيبات متوقفة على المفرق، فخفضنا السرعة، فطلبوا منا التوقف، توقفنا لمدة عشر دقائق فلم يسألنا ولم يقترب منا احد، فنزل السائق ومشى باتجاههم، فانهالوا عليه بالمسبات البذيئة والصراخ وطلبوا منه العودة إلى داخل السيارة، فعاد ووجهه اصفر من شدة الخوف. بعد قليل أعطوا إشارة له بالاقتراب بالسيارة على الجانب الآخر من وقوفهم فاقترب. جاء أربع جنود يرفعون السلاح باتجاه السائق وقال احدهم بالعبرية له: أنت كيف بتنزل من السيارة "يا منيك" إضافة لكلمات بذيئة أخرى، وقالوا له: مرة ثانية إياك أن تنزل من السيارة دون أن نطلب منك وإلا بنطلق عليك النار، ولحسن حظك أننا لم نطلق عليك النار. بعدها أمروا الطاقم ومرافق المريض بالنزول من السيارة وقاموا بتفتيشنا وتفتيش السيارة بقسوة وصراخ علينا، وبعد انتهاء التفتيش اختلف جنديان، احدهما يريد تمريرنا والآخر بدا بالصراخ والشتائم البذيئة وقحش سلاحه علينا، إلا أننا تركناهما مختلفان وسرنا ونحن خائفين أن يطلق النار علينا، إلا انه لم يفعل. مشينا في شارع قدوميم حتى وصلنا حاجز سره، توقفنا وقام الجنود بتفتيشنا وتفتيش السيارة وتابعنا

السير. دخلنا إلى الشارع المؤدي إلى حواره، وبعد ٣ كم شاهدنا ضوء كشف على الشارع، وهذه إشارة بالتوقف، فتوقفنا، وإذا بهم (الجنود) يهجمون علينا من الجبل، وكأنها ساحة حرب حقيقية أو لربما وجدوا غنيمة. اخذ كل واحد موقعه وانبطحوا على الأرض، وعن بعد طلبوا منا النزول من السيارة جميعاً، وطلبوا رفع الملابس، وبعد أن تأكدوا من عدم وجود متفجرات، قالوا اطلعوا في السيارة واقتربوا، وعندما وصلت السيارة عندهم نزلنا منها وفتشوها، وبعد انتهاء التفتيش، قال الضابط بالعبرية كيف تمرّون من هنا، انتم بحاجة إلى تصريح، قلت لهم يومياً تأتي من هنا ولا يوجد طريق آخر إلى رام الله. قام الضابط بعمل اتصالات كثيرة وبعد وقت قال سيروا. سرنا حتى وصلنا حاجز زعتر، توقفنا وقام الجنود بتفتيشنا وتفتيش السيارة وأمرونا بمتابعة السير، مشينا حتى وصلنا سنجل، وهناك في محطة وقود اللبن سلمنا المريض ومرافقه إلى سيارة إسعاف الهلال التابعة لرام الله وعدنا بنفس الطريق باتجاه طولكرم، ومررنا على حاجز زعتر الذي قام بتفتيشنا وسرنا حتى وصلنا حواره ودخلنا إلى الطريق الالتفافي وكان السائق مسرعاً، وفجأة شاهدنا دبابة من الحجم الكبير تقف في منتصف الشارع، فتوقف السائق تماماً، وكنا على بعد ٧٠ م منها، وجهت الدبابة مدفعها نحونا الأمر الذي أخافنا جداً، وإذا بجندي يبرز من الدبابة ويأمرنا بالاقتراب حتى صرنا على بعد ٥ م من الدبابة فتوقف السائق، إلا أن الجندي أمره بالاقتراب حتى أصبحت السيارة تحت خرطوم الدبابة، فقال السائق لي سوف يفعلوا بنا ما فعلوه في زملائنا في جنين \_ قبل أيام من هذا الحادث وبعد تفتيش سيارة إسعاف الهلال التابعة لجنين وضعت السيارة تحت خرطوم الدبابة وأمر الجنود ركاب السيارة بالدخول إليها وإغلاق الشبابتك، وقذفوا قذيفة مدفع من الدبابة والسيارة تحت الخرطوم فتفجر الزجاج والأبواب وجرح السائق وزميله وخزقت طبلات آذانهم ونقلوا إلى المستشفى \_ فحضرنا حالنا وفتحنا الشبابتك قليلاً حتى لا يشعروا بنا، هنا كان السائق خائفاً جداً أما أنا فكانت أقل خوفاً. بقينا واقفين تحت خرطوم الدبابة سبعة دقائق تقريباً خلالها كان سائق الدبابة يدعس على دعسة السولار ودخنة الدبابة في سيارتنا لأن الداخلين من جهتنا. بعدها خرج الجندي من الدبابة وقال للسائق انزل من السيارة فنزل، ونزل جنديان من الدبابة وطلبوا منه الابتعاد عن سيارة الإسعاف إلى حافة الطريق بعد أن أخذوا هويته، بعدها طلبوا منه العودة إلى السيارة والجلوس وعدم التحرك إلا بإذن، أما أنا فلم انزل من السيارة، وأخذوا هويتي وفحصوها وبعد حوالي ثلاث ساعة سمحوا لنا بالسير فسرنا حتى وصلنا إلى النقطة التي يقف جنودها على الجبل ومعهم ضوء، أعطونا إشارة بالكشاف فتوقفنا، لكن للأسف كان الطاقم قد تغير باستثناء جندي واحد، قالوا لماذا أنت هنا وكيف أتيت، طلبت منهم الحديث بالانجليزية فوافقوا، قلت لهم لقد مررنا قبل قليل من هنا وقمنا بتوصيل مريض إلى رام الله وهذا الجندي شاهدنا، سأله فقال نعم، فتشوا السيارة وفتشونا بالكامل وقالوا سيروا. سرنا حتى حاجز سره فتشنا وتابعنا المسير حتى وصلنا مفرق دير شرف فوجدنا الجيئات العسكرية ما زالت متوقفة على الطريق، وبمجرد مشاهدتهم لنا أعطونا إشارة بالتوقف من خلال ضوء مصباح بأيديهم، توقفنا وجاء ضابط وكان مؤدباً وقال

بالانجليزية مساء الخير، أين كنتم؟ فأخبرناه، فتش بطريقة مؤدبة ولم يطلب منا رفع الملابس، وبعد انتهاء التفتيش أمرنا بمتابعة السير، سرنا حتى وصلنا حاجز عناب حيث فتشنا وتابعا السير إلى حاجز الطيبة قام هو الآخر بتفتيشنا وفحص هوياتنا وفتح بوابة الحاجز ودخلنا، سرنا حتى وصلنا إلى مركز عملنا في طولكرم وكانت الساعة الثانية عشرة ليلا. وبهذا تكون الرحلة قد استغرقت ٦ ساعات علما بأنها لا تستغرق أكثر من ساعتين.

## النتائج

سوف أتناول هنا غريزتي العدوان والسيطرة وما ينجم عنهما من سلوك، بحيث أعرض لأنماط سلوك الجنود التي سبق ذكرها في القصص، والتي تتسجم مع هاتين الغريزتين، وبعدها سأعمل على تصنيف أنماط السلوك الصادرة عن الجنود والتي لا يمكن إدراجها تحت هاتين الغريزتين في تصنيفات خاصة بها تتسجم وتلك الأنماط.

### أولا: غريزة العدوان وما ينتج عنها من سلوك:

أ . سلوك التخريب: التخريب والتكسير أنماط سلوكية معروفة لكل من تعامل مع الجنود، مثال ذلك ما فعله الجنود مع السائق ص.ي. على الحاجز المقام بعد مخيم نور شمس، حيث أجبروه تحت تهديد السلاح على خلع جلد الباب الخلفي للسيارة، وقام الجنود بتخريب داخل السيارة بتمزيق الكراسي وتكسير المعدات التي بداخل السيارة. وأيضا إطلاق النار على عجلات سيارة ز.غ. وعطب ثلاث عجلات وتخريبها خلال تواجد السيارة في مخيم طولكرم لنقل مصاب برصاص الجيش.

ب. سلوك الضرب: الضرب هو لغة التفاهم المحببة للجنود العاملين في المدن الفلسطينية، مثال ذلك ما فعل الجندي مع السائق ز.غ. عندما طلب منه الصعود إلى عمارة الشنتير وتبليغ السكان بضرورة النزول، وعندما رفض ضربه وأجبره على الصعود للعمارة، وعندما اعتقل من قبل مجموعة الجنود الذين مسكوه خلف المستشفى، وأثناء إدخاله إلى الدبابة قام الجندي بدفسه برجله لإدخاله الدبابة، وعندما دخل الدبابة وسأله نفس الجندي ماذا فعلت؟ أجاب لا شيء فقام الجندي بضربه على وجهه وكرر السؤال أكثر من مرة وقام بضربه على مع كل جواب. والسائق ع.ج. هو الآخر مورس عليه سلوك الضرب، فعندما دخل الجنود إلى منزله وطلبوا منه تفتيش الطابق الأرضي وشاهدوا العلم الأخضر المكتوب عليه "لا إله إلا الله" إضافة للبوسترات التي تحمل صور الشهداء، قام الجندي بضربه

على رجله التي كانت قد تعرضت لحادث سير فوق على الأرض. والحادث الأيَّس الذي مارس الجنود فيه أسلوب الضرب هو عندما كان ضابط الإسعاف م.ب. ينقل الطفل المصاب بعينه إلى مستشفى العيون بالقدس وعطلت سيارة الإسعاف فأمسك بهم جيب عسكري، وطلب من الجميع مغادرة السيارة وقام أحد الجنود بضرب الطفل المصاب على عينه المصابة بشبشب بلاستيك ومنع الطاقم من مساعدته، وتعرض أفراد الطاقم خلال عملية انتظار فحص الهويات للضرب والدفس بالأرجل.

ج. **سلوك التلطف بالألفاظ البذيئة:** كثيرا ما استعمله الجنود ضد طواقم الإسعاف، فعندما اعتقل السائق ز.غ. وكان في مقر الارتباط العسكري، معصوب العينين، كان يسمع صوت جندي يمني يقول هر... هر...، وبعدها تبين أن هذا الجندي يسوق كل خمسة معتقلين معا كقطيع غنم ويقول لهم هر كنوع من الاحتقار. ولما كان ز.غ. ينقل المصاب الذي حمله من مخيم طولكرم باتجاه رام الله، وعندما وصل إلى حاجز سرية وتوقف للتفتيش وشرح ظروف الشخص المصاب سمع أحد الجنود يقول لزميله هذا المصاب ابن شرموطة. أما السائق ص.ي. فعندما كان في مقر الارتباط ببناء على طلب الجيش حيث رُفض إعطائه تنسيق لنقل المصاب بدون أن يحضره إلى المقر، وخلال توقفه في ساحة المقر أثار وجوده غضب أحد الجنود العائدين من إجازة فاقترب من سيارة الإسعاف بسيارته وكان يسب ويشتم بصوت عالي وتوقف قرب سيارة الإسعاف وقال لمن بداخلها "كس أم رب ربكم". وعندما كان السائق ع.ج. ينقل مريض القلب وكان معه زميله م.ع. وتوقفا على مفرق دير شرف وحاول ع.ج. النزول من السيارة انهال عليه الجنود بالمسبات البذيئة وقال له أحدهم يا منيك كيف بتنزّل من السيارة دون أن نطلب منك؟ وعندما كان ضابط الإسعاف م.ع. في طريقه عائدا إلى طولكرم بعد أن حمل سيدة مصابة بظهرها كانت ترضع طفلها حديث الولادة، وقبل أن تتحرك السيارة كانت تقف على مفرق اكتابا حضرت للمكان دبابتان ونزل الجنود وبدؤوا يشتمون ويسبون: أنتم قتلة، أنتم أبناء زناة... الخ، وعندما طلب ضابط الإسعاف عدم تأخير لخطورة وضع المصابة قال الضابط: "خليها تموت وتموتوا جميعا يا قتلة".

د. **سلوك الإيذاء:** مع أن معظم السلوكات الناجمة عن الجنود تعتبر مؤذية بالنسبة لأفراد الإسعاف، إلا أن هناك سلوكات يكون الإيذاء فيها واضحا بشكل فاضح. فمثلا عندما اعتقل الجيش ز.غ. قام الجندي بمجموعة من السلوكات الإيذائية معه فقام بشد الرباط على يده لدرجة أنه قال آخ من شدة الألم، وربط عينونه بقميص قدر بدلا من الكمامة التي يستخدمها الجيش لهذا الغرض، وقام بحرق يده بسيجارة تاركا أثرا فيها، ولما وصل إلى المعتقل أُجلس وقت الظهيرة تحت الشمس لساعات طويلة، وهذه السلوكات لا معنى و لا تفسير لها سوى الرغبة بالإيذاء. وعندما كان السائق ص.ي. بالقرب من مدارس الوكالة في مخيم نور شمس وكان معه مرضى مسنون، قام الجنود برمي قنبلتي صوت بالقرب من السيارة وكانت الدنيا ليلا ولا أظن أن هناك فوائد أمنية تعود من إطلاق مثل هذه القنابل ولا هدف سوى

الإيذاء. والسائق ع.ج. أجبر وزملاءه على مفرق شوفة بتنزيل المرضى على الأرض بحجة تفتيش السيارة وكان الجو باردا ومظلما، وفي هذا السلوك أذى كبير للمرضى، كما أن الجنود طلبوا منه أن يوقف السيارة تحت خرطوم الدبابة عندما كان عائدا وزميله ر.ي. من توصيل مريض القلب إلى مستشفى رام الله وبعدها بدأ سائق الدبابة بالدوس على دواسة الديزل والدخان ينبعث باتجاه سيارة الإسعاف، وهذا بلا شك سلوك مؤذي.

ت. **سلوك التأخير بهدف القتل:** كثيرا ما أصر الجنود السيارة على أمل أن يموت المصاب بداخلها وأحيانا كان المصاب يموت داخل السيارة وهي تنتظر، وفي أحيان أخرى فشل الجنود في تحقيق هدفهم رغم تأخيرهم. فمثلا عندما كانت سيارة الإسعاف التي يقودها أ.م. برفقه س.ن. في طريقها من ذنابة إلى طولكرم ومعهم مصاب بحالة خطيرة تعرض لهم الجنود عند جامع ذنابة وأخروا السيارة ومنعوا من المرور لمدة حوالي ٢٤ ساعة حيث توفي المصاب بداخلها بعد حوالي نصف ساعة. إلا أنه عندما كان م.ب. يرافقه أ.م. ينقلان مريض السكري من شويكة إلى طولكرم وأوقفتم دبابات عند ملعب شويكة، وتم تأخيرهم رغم أن المريض بحالة صعبة للغاية، قال الضابط لطاقم الإسعاف "أنا متأكد من عدم وجود شيء داخل السيارة، لكنني أريد أن أرى من لا يموت بالبيت يموت عندي هنا"، إلا أن المريض وصل المستشفى حيا.

ز. **سلوك إطلاق النار بهدف القتل:** كثيرا ما أطلقت النار على سيارات الإسعاف ومن بداخلها فقتلت وجرحت، فقد استشهد السائق إبراهيم وجرح ر.ي.، ص.ب. وآخرين، فعندما كان السائق ص.ي. في طريقه لنقل مصابين من مخيم نور شمس، تعرض لإطلاق نار ورفض التوقف ووصل إلى الموقع داخل مخيم نور شمس، وأثناء محاولته إخلاء المصابين تعرض لإطلاق نار كثيف أصاب أبواب السيارة وتتك البنزين ومؤخرة السيارة وأصيب أحد المتواجدين بالمكان بعيارين ناريين في بطنه. وعندما كان ر.ي. ومعه سائق جنين في طريقهم إلى معمل أبو صافية لنقل مصاب هناك تعرضت السيارة لإطلاق نار كثيف من قبل دبابة على مفرق المقاطعة، مما أدى إلى إصابتها بعدة طلقات وشظايا، تعطلت على أثرها لفترة طويلة عن عملها.

### ثانيا : غريزة السيطرة وما ينتج عنها من سلوك:

أ. **سلوك التحكم :** كثيرا ما تحكم الجنود بطواقم الإسعاف والمرضى وأجبروهم على الإتيان بسلوك لا يرغبون فيه عنوة وتحت تهديد السلاح. فمثلا معظم الوقت يتحدثون مع الطواقم بالعبرية حتى ولو كانوا يعرفون العربية، والحالات التي أجبر فيها الجنود الطواقم على خلع ملابسهم كاملة وإلقائها على الأرض رغم برد الشتاء أكثر من أن تعد، وكثيرا ما وضعوا السلاح على رأس أو بطن أفراد الطاقم لحملهم على أداء شيء في حال رفضهم لأدائه، كما أنهم تحكموا في الموظفين واستغلواهم فمثلا أجبروا

ز.غ. على تفتيش شقق عمارة الشنتير قبلهم مستخدمينه كدرع بشري، كما أجبروا ص.ي. على تفتيش الجثة الملقاة على الأرض على حاجز نور شمس رغم اعتقادهم بأن الجثة ملغمة، ولم يكتفوا بتفتيشه الجثة بل أجبروه على المشي على كومة تراب يعتقد بوجود ألغام في داخلها، وعلى حاجز الطيبة أجبر ص.ي. أيضا على تحميل ثلاث جنود والسير بهم باتجاه طولكرم تحت تهديد السلاح وقام الجنود باعتقال شاب فلسطيني، كما أجبرت المرافقات للمرضى داخل سيارات الإسعاف بشد الملابس على أجسامهن لمعرفة ماذا تحت الملابس عنوة وتحت تهديد السلاح، وفي أحيان كثيرة كانوا يطلبون من الجميع رفع الأيدي لفترات طويلة كما فعلوا بالمرضى والمرافقين من النساء والأطفال على الحاجز المقام على مداخل دير الغصون، حيث أجبروا الجميع على رفع الأيدي والوقوف جانبا.

ب. سلوك الغرور والفوقية: كرفع الصوت من قبل الجنود والصراخ والعريضة لتنفيذ أمر ما، أو الافتخار بالقيام بعمل سيء تجاه طواقم العاملين، مثال ذلك تبجح أحد الجنود وافتخاره بعطب ثلاث عجلات لسيارة الإسعاف التي يقودها السائق ز.غ. وذلك عندما عاتبه لفلطته، قال له بالحرف بعنجهية "إنجاز بالنسبة لي أن أبنشر عجلات سيارة إسعاف تنقل مصاب مسلح". أو رفض جندي الامتثال لأمر مسؤول إسرائيلي ليس مسئولا عنه مسؤولية مباشرة، كما فعل الجنود على حاجز نور شمس عندما منعوا سيارة الإسعاف من المرور وتم الاتصال بالصليب وقامت ضابطة الصحة الإسرائيلية (داليا) بالاتصال بالموقع من خلال جوال سيارة الإسعاف وطلبت الحديث مع الجنود قال الجندي بالحرف "نحن لسنا في تل أبيب" ورفض التحدث معها إلا أنه أمام إصرار سائق سيارة الإسعاف استجاب على مضض وتحدث معها.

هذه هي أنماط السلوك التي أمكن إرجاعها لغيرتي العدوان والسيطرة، إلا أن هناك أنماطا للسلوك مارسها الجنود لا يمكن أن تنضوي تحت هاتين الغريزتين وهي:

١\_ السرقة: فقد شاهد السائق ز.غ. أحد الجنود الذين كانوا يفتشون داخل مقر الغرفة التجارية يضع علما فلسطينيا صغيرا له قاعدة نجل أصفر في جيبه، وعندما شاهد الجندي ز.غ. طلب منه الابتعاد، لذا لم يعرف إذا ما كان الجندي قد سرق أشياء أخرى صغيرة الحجم أم لا.

٢\_ التحرش الجنسي: كما فعل الجندي الذي فتن موظفة الصليب الأجنبية قرب مخيم طولكرم، حيث وضع يده على جسمها بطريقة تتم عن الزعرة والتحرش الجنسي، وبعد انتهاء التفتيش ضربها على مؤخرتها، مؤكدا سلوك التحرش.

٣\_ الكذب: كما فعل الضابط مع السائق ع.ج. قرب معمل أبو صافية، فقد أخبره بأنه لا يعرف العربية وتحدث معه بالعبرية وعندما حضرت النسوة الثلاث لتسليم قريبهن تحدث الضابط معهن بالعربية

وبطلاقة، فانكشف كذبه. وفي موقع آخر مورس الكذب عندما أمسك الجنود سيارة الإسعاف عند مصنع (جيشوري) وفتشوها ومن بداخلها وأخذوا الهويات وقالوا سوف نرجعها بعد قليل ولم يرجعوها أبدا إلا بعد تدخل الصليب وتم تسليمها لهم على حاجز الطيبة بعد خمس ساعات من أخذها. وعندما كانت سيارة الإسعاف العائدة من الشعراوية في شويكة وأمسكت بها دبابة وأخرتها، ادعى قائد الدورية بأن الدبابة خربة وأنهم ينتظرون قدوم فرقة لتصليحها، ولن يسمح لسيارة الإسعاف بالسير إلا بعد تصليحها، إلا أنه بعد طول انتظار حرك الدبابة وغادر دون تصليح، وتبين بأنها لم تكن خربة وأنه كان يكذب عليهم.

٤\_ **رفض تقديم المساعدة الإنسانية:** هناك أكثر من موقف رفض الجنود فيه تقديم المساعدة الإنسانية للعاملين، فمثلا عندما أخر الجنود سيارة الإسعاف على حاجز نتانيا وكان بداخلها مصاب وضعه خطير ومربوط بأجهزة تعمل على البطارية، نفذت البطارية وطلب طاقم الإسعاف من الجنود شحن البطارية، فرفض الجنود تقديم المساعدة الإنسانية لهم. وفي موقف آخر عندما تعطلت سيارة الإسعاف ليلا على الطريق الالتفافي المؤدي إلى حوارة طلب طاقم الإسعاف من الجنود حمايتهم من المستوطنين الذين يقطعون الطريق فرفضوا ذلك ولم يقدموا أي مساعدة حتى ولو بشحن بطارية السيارة.

٥\_ **الابتعاد عن مواطن الخطر:** الجنود المتواجدين داخل المدن وعلى الحواجز الفلسطينية شديدي الحذر، فهم يحاولون الابتعاد عن أي مواطن خطر ولو بأي ثمن. وخير مثال على ذلك ما حدث عندما طلب الجنود على حاجز نور شمس من ص.ي. تفنيش الجثة، فقد ابتعد الجنود عن المكان وأخذوا الأرض وأشهروا السلاح وكأنهم في ساحة معركة حقيقية، وعندما طلب الضابط من ص.ي. أيضا المشي على التراب قال له ص.ي. بأن لديه أطفال فأجاب الضابط وأنا عندي أطفال، قال ص.ي. نذهب معا فوافق الضابط وسارا معا إلا أن الضابط هرب بمجرد أن داست قدما ص.ي. على التراب.

هناك مجموعة أخرى من أنماط السلوك الفردية التي مارسها الجنود، والتي يمكن وصفها بأنها أنماط سلوك إيجابية وهي:

١\_ **تخفيف الإيذاء:** كما حدث عندما قام الجندي بربط يدي ز.غ. وشدهما كثيرا فتألم وقال آخ، هنا قام جندي آخر بقطعها ووضع أخرى بدلا عنها ولم يشدها بشكل مؤذي. أيضا ما حدث مع ز.غ. عندما كان معتقلا ومعصوب الأيدي داخل مقر الارتباط العسكري، حيث قام أحدهم لا يعرف من هو بتخفيف شد الرباط على يديه.

٢\_ **التعاون والتعامل بشكل لائق:** كإصرار أحد الجنود على تمرير سيارة الإسعاف على مفرق دير شرف رغم معارضة زميله لتميرها ورفع السلاح لمنعها من متابعة سيرها. وكما فعل ضابط

مسؤول على نفس الحاجز وبنفس الرحلة في طريق العودة حيث قام بتفتيش السيارة وتعامل مع طاقمها بأدب واحترام. أيضا ما فعله ضابط الدورية الدرزي حينما طلب منه طاقم الإسعاف المساعدة لنقل طفلة محروقة تتواجد على حاجز الكفريات، حيث قام بالاتصال بضابط آخر وطلب منه مساعدة الطاقم وفعلا قام الآخر بالمساعدة وتمكن الفريق من الوصول للطفلة والعودة بها رغم محاصرة المستوطنين للمكان . أو كموقف الجنود على الحاجز المقام على بئر الماء في بلعا، فعندما حضرت سيارة الإسعاف للمكان تعامل الجنود معها بأدب فأزالوا الحاجز من الحجارة والأغصان وأرشدوا السائق إلى أن مكان المصاب ليس في هذا الشارع وإنما في مكان آخر، وأخبروه عن الطريق الذي من خلاله يصل للمصاب.

٣\_ **المجاملة والحديث عن السلام:** وخير مثال على هذا النمط من السلوك هو الضابط "إيمي" الذي تعامل مع ضابطة الإسعاف ل.ب. والسائق ص.ي. في بلعا. فقد تعامل هذا الضابط بلطف وأدب مع الطاقم وجامل ضابطة الإسعاف بسؤاله عن المكان الذي تخرجت منه، وفي النهاية تحدثت عن السلام وعن أمه في أن يتحقق السلام ويتمكن من بناء فندق جميل على سفح الجبل المطل على بلدة دير الغصون، بحيث يكون هذا الفندق مشترك بين الفلسطينيين واليهود.

## خلاصة النتائج

بالنظر إلى أنماط السلوك التي مارسها الجنود مع سيارات الإسعاف ومن بداخلها على الحواجز العسكرية، فقد بان واضحا بان غريزتي العدوان والسيطرة وما ينجم عنهما من سلوك هما المحرك الأول لأنماط سلوك الجنود. فغريزة العدوان يثيرها حاجة الجندي إلى الأمن وانفعالها هو الغضب وسلوكها هو التخريب والضرب والتلفظ بالألفاظ البذيئة، والإيذاء، والتأخير بهدف القتل، وإطلاق النار بهدف القتل، وغريزة السيطرة يثيرها وجود الجنود مع أفراد أقل قوة منهم (موظفي وركاب سيارات الإسعاف) وانفعالها هو الزهو وسلوكها هو التحكم والغرور والفوقية وإجبار الأشخاص الأقل قوة على ممارسة أعمال لا يرغبون فيها. إلا أن هناك أنماطا للسلوك مارسها الجنود لا يمكن أن تتضوي تحت هاتين الغريزتين، كالسرقة، والتحرش الجنسي، والكذب، ورفض تقديم المساعدة الإنسانية، والابتعاد عن مواطن الخطر. هذا عن أنماط السلوك السلبية التي مارسها الجنود، إلا انه ليس كل أنماط السلوك سلبية، فهناك مجموعة أخرى من أنماط السلوك الفردية التي مارسها الجنود، والتي يمكن وصفها بأنها أنماط سلوك إيجابية، كتخفيف الإيذاء، والتعاون والتعامل بشكل لائق، والمجاملة والحديث عن السلام.

## مراجع البحث

[١] إسماعيل، محمد، ١٩٧٨ \_ **المنهج العلمي وتفسير السلوك**. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، مصر.

[٢] تعديل السلوك: <http://www.asyeh.com/mahrat.php?action=showpost&id=23>

[٣] عيسوي، عبد الرحمن، ١٩٧٤ \_ **علم النفس الفسيولوجي : دراسة في تفسير السلوك الإنساني**. دار النهضة العربية ببيروت، لبنان .

[٤] جردات، فواز، ١٩٩٦ \_ **السلوك العدوانى عند الأطفال مظاهره وأسبابه وعلاجه**. رسالة المعلم، العدد ٤، ص: ٦-١٢.

[٥] إبراهيم، عبد الستار، ١٩٩٤ \_ **العلاج السلوكى المعرفى الحديث: أساليبه وميادين تطبيقه**. دار الفجر للنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر.

[6] Scott, P., 1967 – **Aggression**. The University of Chicago Pres, Chicago.

[٧] ربيع، محمد شحاته، ١٩٩٤ \_ **قياس الشخصية**. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر.

[٨] السيد، فؤاد، ١٩٩٨ \_ **الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة**. دار الفكر العربى بالقاهرة، مصر.

[٩] موسى، رشاد ، ١٩٩٨ \_ **سيكولوجية الفروق بين الجنسين**. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر.

[١٠] ربيع، محمد شحاته، ١٩٩٥ \_ **علم النفس الجنائى**. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

[١١] إبراهيم، عبد الستار، ١٩٩٤ \_ **العلاج السلوكى المعرفى الحديث أساليبه وميادين تطبيقه**. دار الفجر للنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر.

[١٢] ربيع، محمد شحاته، ١٩٨٨ \_ **اختبار الرياض منسوتا للشخصية**. القاهرة.

[١٣] السعيد، أحمد، ١٩٩٢ \_ دراسة لبعض متغيرات الشخصية للمجرمين العائدين للسجون في المملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية.

[١٤] مليكة، لويس، ١٩٩٧ \_ اختبار الشخصية المتعدد الأوجه. مطبعة فكتور كرلس بالقاهرة، مصر.

[١٥] زهران، حامد، ٢٠٠١ \_ الصحة النفسية والعلاج النفسي. عالم الكتب بالقاهرة، مصر.

[١٦] ربيع، محمد شحاته، ١٩٨٨ \_ مرجع سبق ذكره.

[17] Freedy, J., 1994 – *The Psychological adjustment of recent Crime Victims in the Criminal Justice System*. Journal of Interpersonal, Vol. 9, No. 4, P:450-468.

[١٨] الساحلي، خالد، ١٩٩٧ \_ دراسة مقارنة لبعض الخصائص النفسية لدى الأحداث الجانحين وغير الجانحين بمدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية.

[١٩] الغامدي، حسين، ١٩٨٤ \_ دراسة مقارنة السمات الشخصية للجانحين وغير الجانحين في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية.

[٢٠] محمد، نجيب، ١٩٨٩ \_ سيكولوجية الجريمة والفروق بين الجنسين: دراسة نظرية وميدانية. مكتبة القاهرة الحديثة بالقاهرة، مصر.

[٢١] عبد العال، جمال الدين، ١٩٨٧ \_ دراسة للعوامل النفسية التي تكمن وراء جريمة القتل عند القاتلات المصريات. مجلة علم النفس، عدد ٢١، ص: ٢٠-٤٥.

[٢٢] محمد، محمد على، ١٩٨١ \_ علم الاجتماع والمنهج العلمي: دراسة في طرائق البحث وأساليبه، ط٢، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر.